فرد يقيم مستشفى

يعلم القراء — كما نعلم — مقدار الجهود الجبارة التى بذلتها جمعية المواساة بالاسكندرية والجمعية الخيرية الاسلامية بالقاهرة حتى استطاعت كل منهما أن تنشئ مستشفاها فى عدد من السنين .

يعلمون أن كلتا الجمعيتين قد سلكت كل الطرق وطرقت جميع الأبواب ، وأصدرت الصيب تلو الصيب حتى تجمع لديها المبلغ الذى تقيم به مستشفى لائقا .

ويعلم القراء — كما نعلم — أنه فى الوقت الذى كانت جمعية المواساة وكانت الجمعية الخيرية الاسلامية تبذل آخر ماتملك من الجهود وتبتكر ما تستطيع من الوسائل ، لإقامة مستشفى ، كان فرد واحد هو موسيو " كوتسيكا " ينشئ مستشفى كاملا من ماله الخاص قبالة مستشفى المواساة !

وموسيو " كوتسيكا " رجل غنى ، ولكنه ليس الغنى الوحيد فى هذه البلاد ، فهناك عشرات من المصريين تبلغ ثروتهم ثروته ، وهناك مئات يقربون فى ثرائهم منه ، وهناك ألوف لهم من الثروة الضخمة مقدار مناسب . فلم يكن الغنى وحده هو الذى جعل موسيو " كوتسيكا " قادرا على القيام بالعمل الذى تعبت فيه جمعية ، ونهض به شعب كامل . إنما كان الضمير الحى والشعور بالواجب الإنسانى هما اللذان دفعا به الى إنشاء مستشفاه الفخم ، قبالة مستشفى المواساة .

وذلك الضمير وهذا الشعور هما اللذان قعدا بالعشرات و بالمئات و بالآلاف من أغنياء المصريين عن القيام بما قام موسيو " كوتسيكا " به ، فالروح الاجتماعية عندنا ضعيفة ، والشعور بآلام الآخرين مفقود ، وهؤلاء الأثرياء المترفون يعدون أنفسهم جنسا آخر غير جنس الفقراء المحرومين ، فهم لايفكرون فى البر بهم إلا حيث يوجد للبر ثمن من رتبة أو منصب أو صفقة من الصفقات ! ومع هذا فعدد الذين يتبرعون به تافه محدود — حتى فى هذه الصفقات إذا قيس إلى عمل ضخم كعمل موسيو كوتسيكا فى مستشفاه .

لذلك كله أحسست بهزة فرح حين قرأت أن حضرة صاحب العزة " طاهر بك اللوزى " قد أرسل إلى معالى وزير الصحة ينبئه بعزمه على إقامة مستشفى للسل فى دمياط من ماله الخاص ، وأنه يرسل لهذا الغرض بمبلغ مبدئى قدره أربعة آلاف جنيه ، ويعد بإرسال مبالغ متتالية حتى يتم بناء المستشفى .

أحسست بهزة فرح حين قرأت هذا الخبر ، فها هو ذا أخيرا فرد مصرى ليس ببالغ الثراء فيما أحسب اذا قيست ثروته بثروة أصحاب الملايين من المصريين والمتمصرين ، ولكنه يجد فى ضميره وفى شعوره مايملى عليه أن ينفرد ببناء مستشفى فى مدينته ، وبذلك يرفع رءوسنا أمام العالم ، فنستطيع أن نقول للأمم :

ها هو ذا " فرد يقيم مستشفى " من المصريين !

* * *

وفيما قرأت عرفت أن عصاميا أمريكيا اسمه " كارنيجى " قد جمع ثروة تقدر بمائة مليون من الجنيهات ، وقد بلغ السادسة والستين من العمر ، ففكر فى حرفة يحترفها بعد أن صفى مصانعه وشركاته فدرت عليه هذا المبلغ ، فهداه ضميره وشعوره الى احتراف " البر " ووزع من ثروته ثمانية وتسعين مليونا من الجنيهات على مشروعات الخير فى أمريكا واسكتلنده موطنه الأصلى .

ثم استغل المليونين الباقيين فصارا خمسة فتبرع بها قبل وفاته لأعمال البر والخير . وكانت له قولة مشهورة : " يجب ألا يموت الإنسان ثريا " !

ولو سمع أغنياؤنا المصريون بقصة هذا الرجل لمصمصوا شفاههم وعدوه مجنونا من المجانين فهم — حفظهم الله — لايدركون مغزى هـذا التصرف ، ولا يعرفون أن أعمال البر تستوجب النزول عن قدر مما أعطاهم الله الا أن يكون وراء ذلك رتبة أو منصب أو صفقة رابحة ، أو على الأقل نشر الاسم فى الصحف مقرونا بالثناء والتنويه !

و إن أحدا لايطالبهم بأن ينزلوا عن ثروتهم كلها ولا عن عشرة فى المائة منها ...ولكن عن واحد فقط من كل مائة فى العام ، ولو فعلوا ذلك لقامت المؤسسات الخيرية فى كل مكان ، ولوصلت الخدمة الاجتماعية إلى كل محتاج إليها ، ولاختفت من الشوارع تلك الكتل البشرية الهزيلة المريضة المشوهة القذرة فيما لايزيد على عشر سنوات .

إن أسبوع البر الذى عددناه ناجحا قد رجع بثمانية وتسعين الفا من الجنيهات ، يستطيع فرد واحد من أثرياء المصريين والمتمصرين أن يجود بها فى غير عسر و بلا إرهاق ، كما تبرع موسيو كوتسيكا ببناء مستشفى ضخم ، وكما تبرع اللوزى بك ببناء مستشفى كامل على حسابه الخاص.

وأذكر أننى قرأت مرة لأحد كبار الأغنياء عندنا مقـالا مؤثرا فى العطف على الفقراء وتوفير القوت لهم ... فذكرت على الفور تلك الأقصوصة التى صاغها المرحوم حافظ ابراهيم شعرا : أقصوصة الرجل صاحب الكلب الذى شوهد ينتحب وفى يده أرغفة وكلبه مشرف على الموت ، فلما سئل عن سر انتحابه ، أجاب أن كلبه العزيز يموت من الجوع ، فقيل له : ولماذا لا تنقذه والرغفان فى يدك ، فكان جوابه :

لذلك الحد لم تبلغ صداقتنا أما كفى أن يرانى اليوم منتحبا ؟

ولكن "الرجل" سيد جلال — الذى كدنا ننساه — أنقذ الموقف فبادر بترجمة هذا المقال المؤثر إلى لغة "الشيكات" المؤثرة كذلك ؟ فتبرع بمبلغ ضخم جدا إذا قيس إلى ثروته المحدودة باسم توفير القوت للطبقات الفقيرة !

واليوم ها هى ذى وزارة الشؤون الاجتماعية تهم بفرض ضريبة الزكاة لتستطيع أن تجاهد شح الأشحاء ، وأن تطلق بعض الأموال المحبوسة من عقالها باسم الدين و باسم الخدمة الاجتماعية و باسم البر الانسانى فتجد من المولين ، بعض من ينهض لها بالحجج الأفلاطونية ، و يقيم فى سبيلها العراقيل بالحيل القانونية . وما هو إلا الشح والحرص فى صورة من صورهما المقيتة.

دعوا وزارة الشؤون الاجتماعية تنفى وصمة البخل عن المصريين ، دعوها تخلق لهم المعاذير — إذا لم يتبرعوا كما يتبرع الآدميون فى كل أقطار الأرض — بأنهم إنما يكفون عن التبرع لأن التبرعات جمعت منهم باسم الزكاة التى يحضهم عليها دينهم و يجعلها فريضة أساسية فى أعناقهم !

دعوا وزارة الشؤون الاجتماعية تطهرهم من الشح وتقيهم من لعنته وتحقق فيهم قوله تعالى : "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" !

خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ .

قرءان كريم